

أفرد حضرته الخطبة للحديث عن الاستغفار فقال إن الله ﷻ يقبل من عبده الاستغفار والتوبة بشرط أن يكون الاستغفار والتوبة حقيقيين، فقد قال الله في آية مبشراً المستغفرين أنهم لو استغفروا ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وعن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب. ثم تلا عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

ما هي التوبة الحقيقية:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم مرة عن علامة التوبة فقال: الندامة.

ثم ذكر حضرته ما أورده المسيح الموعود عليه السلام عن شروط التوبة في موضع، فقال:

- الشرط الأول للتوبة هو أن يقلع المرء عن الأفكار الفاسدة والتصورات السيئة.
- والشرط الثاني هو أن يُظهر الندم الحقيقي.
- والشرط الثالث هو أن يصمم المرء العزم على ألا يقرب تلك السيئات أبداً. بل يجب أن تحل محلها الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة.

فوائد التوبة والاستغفار:

□ ينال المستغفر قوة تساعد على التغلب على ما فيه من مادة سامة تدفعه إلى الآثام:

ثم قدم حضرته بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام مبينا فائدة الاستغفار: "اعلموا أن هذه الأمة قد أعطيت شيعين، أحدهما لاكتساب القوة؛ وثانيهما من أجل تسخير هذه القوة المكتسبة في العمل. والاستغفار هو لاكتساب القوة، ويسمى أيضا الاستمداد والاستعانة. فمن أراد القوة فعليه الاستغفار.

والغفر هو التغطية والكبت، فبالاستغفار يحاول الإنسان كبت جماح أهوائه وتغطية أفكاره التي تحول دون وصوله إلى الله تعالى. إنما يعني الاستغفار أن يتغلب الإنسان على ما فيه من مواد سامة تريد مهاجمته وإبادته، وأن يعمل بأحكام الله تعالى، متجنباً العقبات التي تحول دون ذلك.

□ تنجي الإنسان من الهلاك:

ثم قال حضرته عليه السلام، "فمن المؤكد أنه لو لم يكن الله تعالى قابلاً للتوبة لما أثقل الإنسان بعبء مئات الأوامر قط. من هنا يتبين دون أدنى شك أن الله تواب وغفور. ومعنى التوبة أن يترك الإنسان سيئة مُقرّاً بأنه لن يعود إليها أبداً وإن أُلقي في النار.... ومن صفات الله العليا أنه بقبول التوبة ينقذ

من الهلاك. ولو لم يتوقع الإنسان قبول التوبة لما ارتدع عن ارتكاب الذنوب قط... ومستحيل تماما أن ينال الإنسان النجاة بأعماله فقط بل من منة الله أنه يقبل توبة أحد ويعطي آخر بفضل قوه فيجتنب ارتكاب الذنب".

□ تجنب الإنسان النتائج السيئة لذنوبه:

حضر شخص مجلس حضرته عليه السلام وسأل: ما هو الورد الذي يجب أن أردده؟ فقال ﷺ: أكثر من الاستغفار، فلإنسان حالتان: إما أن لا يرتكب الإثم، أو أن يحميه الله من شر عواقب إثمه، وعليه أن يضع في البال كلا المعنيين عند الاستغفار،... لكن لا يكفي الاستغفار باللسان فقط، بل يجب أن ينبع من القلب. وادعُ الله في الصلاة بلغتك أيضا، فهذا ضروري. (الملفوظات ج ٢) قال المسيح الموعود ﷺ في مناسبة وهو يبين معنى الاستغفار:

"معنى الاستغفار هو ألا يصدر أي ذنب في الظاهر، وألا تظهر قوة على ارتكاب الذنوب. إن حقيقة استغفار الأنبياء هي أنهم معصومون أصلا ولكنهم يستغفرون كيلا تظهر تلك القوة في المستقبل. أما بحق عامة الناس فيُستنتج منه معنى آخر أيضا وهو أن ينقذه الله من نتائج سيئة لجرائم وذنوب صدرت منه سابقا، وأن يغفرها له وينقذه من صدورها في المستقبل.

يجب على أفراد جماعتنا أن يصدر منهم ما يميزهم عن غيرهم. يجب على المبايع أن يكون نموذجا للأغيار ولأقاربه وجيرانه حتى يقولوا عفويا بأنه لم يعد كما كان من قبل.

(الملفوظات ج ٩)

□ ترفع البلاء:

ثم قال ﷺ في مناسبة: إن خشية الله والاتقاء أمر عظيم، فبسببها يعصم الله الإنسان من آلاف الآفات.. لقد ورد أن النبي ﷺ ذات يوم قام وبكى كثيرا، ثم خاطب الناس وقال: يا عباد الله اتقوا الله. فالآفات والبلايا تلتصق بالمرء كالنمل، فلا سبيل للتخلص منها سوى الانصراف إلى الاستغفار والتوبة بصدق القلب.

استغفار الأنبياء

يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام: اعترض بعض القساوسة الأغبياء على استغفار النبي ﷺ وكتبوا أن استغفاره يُثبت أنه كان مذنبا، لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الاستغفار خصلة سامية، فقد خلق الإنسان ضعيفا، والضعف من فطرته. والأنبياء يعرفون جيدا هذا الضعف الفطري والبشري، لذا يدعون الله قائلين: ربنا احفظنا من ظهور الضعف البشري. بالتدبر في الإنجيل يتبين جليا أن عيسى عليه السلام اعترف كثيرا بضعفه واستغفر. فما معنى صراخه "إيلي، إيلي، لما شبقتني"؟ فهو يقول ارحمني يا رب، وأنزل علي فضلك، ولا تحذلني أي احفظني.

(ملخص ما جاء في الملفوظات ج ١٠)

إنكار التوبة والمغفرة إنما هو إغلاق باب ارتقاء الإنسان:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: اسم الله أيضاً تواب، ومعناه أن الإنسان حين يندم على ذنوبه وأفعاله السيئة، ويتعهد باجتنابها في المستقبل، فإن الله أيضاً يتوب عليه برحمته، فالله ﷻ يتوب على الإنسان أكثر من توبة الإنسان إليه، فقد ورد في الحديث الشريف أن الإنسان حين يتقدم إلى الله شيراً يتقدم الله إليه ذراعاً، وحين يأتيه الإنسان مشياً يأتيه هرولة.

ثم قال عليه السلام مبيِّناً حقيقة التوبة: إن صفة "الحي القيوم" تقتضي العبادة لأنه خلق ولم يخلد المخلوقات بعد خلقها... الإنسان يبقى محتاجاً إلى الله تعالى في كل الأحوال، فصار ضرورياً أن يستمر الإنسان بالاستمداد من الله تعالى، وهذا هو الاستغفار. ثم وسَّعت دائرتها أكثر لئِنقَدَ مرتكبو الذنوب من نتائجها السيئة. وإن لم يرتكب المرء الذنب فمع ذلك هو بحاجة إلى الاستغفار للبقاء على قيد الحياة وللبقاء في ملاذ الله. ولكن الأصل في الموضوع هو الانقاذ من التصويرات البشرية. فمن لا يرى الحاجة إلى الاستغفار مع كونه بشراً فهو سيئ الأدب وملحد.

وقد ذكر عليه السلام حقيقة الاستغفار في مكان آخر كما يلي: " .. إنما الاستغفار أن يسأل المرء الله حفظه من عواقب وخيمة للذنوب التي صدرت منه. وألا تصدر منه تلك التي يقدر على ارتكابها ولم يرتكبها بعد، وأن تحترق وتتلاشى في الداخل.

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحاً حقيقة التوبة أكثر: ليكن معلوماً أن إنكار التوبة والمغفرة إنما هو إغلاق باب ارتقاء الإنسان لأنه من الواضح ومن البديهيات لدى الجميع أن الإنسان ليس كاملاً في حد ذاته، بل هو بحاجة إلى التكميل... لو كان صحيحاً أن التوبة لا تُقبل، لثبت من ذلك أن الله لا يريد أصلاً أن يهب أحداً النجاة."

ثم قال حضرته عليه السلام في مجلس حين بايعه بعض الإخوة فقال لهم حضرته ناصحاً: " .. فسِرِّ العبودية حصراً أن يأوي المرء إلى الملاذ الإلهي، فالذي لا يريد ملاذ الله فهو متكبر."

ثم قال عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود: ٤). تذكروا أن هذه الأمة قد أُعطيت شيئين: الأول أن استغفروا للحصول على القوة، والثاني ثم توبوا إلى الله وارجعوا إليه لإظهار هذه القوة عملياً. ... الاستغفار هو رياضة روحانية تنال بها الروح قوةً، والقلب ثباتاً. فمن يرغب في نيل القوة فعليه الاستغفار.

ثم قال عليه السلام: إن باب فضل الله ورحمته لا يُغلق أبداً. ... إن كل أولئك الذين يتمكنون من الوصول إلى عتبات الله سينالون الدرجات العليا، هذا وعد مؤكد. فشقيٌّ وتعيْسُ الحظ من يقنط من الله ويأتيه وقت الاحتضار وهو غافل، ولا شك أن الباب يُغلق عندها.

قد ورد في القرآن الكريم اسم الله "التواب"، أي كثير الرجوع. فرجوع العبد إلى الله يكون بالحسرة والندم والتذلل والتواضع، أما رجوع الله إلى العبد فيكون بالرحمة والمغفرة. لو لم تكن الرحمة من صفات الله لما نجا أحد.

وقال المسيح الموعود عليه السلام وهو يَحْتَنَّا على إحداث تغيير واضح في حياتنا: غيروا حياتكم بحيث تبدو حياةً جديدة، حياة الاستغفار. واستغفروا كثيراً... فالاستغفار والتوبة لا ينفعان إلا بعد العمل بأحكام الله الأساسية، أي يجب أداء الصلوات بانتظام، كما لا بد من أداء حقوق الله وحقوق العباد على ما يرام.

فاهضوا وتوبوا، وأرضوا مالكم بصالح الأعمال، واعلموا أن العقوبة على الأخطاء العقديّة ستترتب بعد الممات.... ولكن الذي يتعدى الحدود في الظلم والجور والفسق والفجور فيعاقب في هذه الدنيا نفسها، ولا يستطيع الفرار من عقاب الله تعالى بحال من الأحوال... إن فضل الله تعالى هو الذي ينجي دائماً وليست الأعمال. فتوبوا إلى الله وأنبيوا، واسألوه فضله واستغفروه دوماً. ثم قال عليه السلام: **فيا إلهي الكريم الرحيم، أنزل فضلك علينا جميعاً، فإننا عبادك المرتحمون على عباتك، آمين.**

ندعو الله تعالى أن يجعلنا من ورثة دعاء المسيح الموعود عليه السلام، وأن نكون من الذين يستغفرون ويتوبون مستوعبين مفهوم التوبة والاستغفار حقاً.

ثم ذكر حضرته بعض المرحومين وصلى عليهم جنازة الفائب بعد صلاة الجمعة وهم:

السيدة بيغم بنت حضرة مير محمد إسحاق رضي الله عنه، حيث توفيت مؤخراً عن عمر يناهز ٩٣ عاماً.

السيدة بشرى أكرم من سيالكوت، كانت امرأة تقية مخلصّة وملتزمة بالصيام والصلاة.

السيدة مسرت جيهان زوجة شودري محمد اختر من أستراليا.

السيد ناصر أحمد القرشي من أمريكا وهو أيضاً توفي مؤخراً عن عمر يناهز الثامنة والثمانين.

إننا لله وإنا إليه راجعون، رحمهم الله جميعاً.